**وبعد :**

## [ ١ ] في أول الطريق : الفردوس هي الأمل :

عندما كنت في بداية الطريق ، طريق الإسلام ، وكان هذا بحمد الله في أول مراحل الشباب ، كنت أرى أن الفردوس هو المكان الذي يجب أن تتعلق همتي به . وربما كان يخالجني الشعور لا الأمل فقط بأنني جدير به !! وكنت أظن أن مسألة النار ، والتفكير بالنجاة منها خارج عن سعى مثلي ودعائه ؛ فمثلي ليس من أهلها – إن شاء الله – ولا يدخلها !! وبالتالي فهو غني عن الخوف منها ، والإستعاذة بالله منها ، وإن دعا الله بالنجاة منها ، فإنما ذلك تأسياً بالرسول ﷺ الذي يدعو بالنجاة من النار مع القطع أنه ليس من أهلها ، وكان كثيراً مما يخالجني الشعور عند الإستغفار أنني لم أعمل ما يوجب الندم الطويل ، ولا الأسف البالغ ، فإن ما وقعت فيه من الذنب قد وفقني الله للإقلاع عنه ، والإعتذار منه ، وهذا كاف في باب التوبة!!.

وقد استمر بي هذا الظن مرحلة من عمري في الدين ،

ثم لما بدأت في فقه القرآن وعرفت حقيقة معنى الإيمان ، وحقيقة معنى المعصية ، ودرست أخلاق الرسل والصالحين وأهل الإيمان ، بدأ هذا الشعور يتلاشى شيئاً فشيئاً ، ثم أصبح الهاجس الأول والأخير هو التفكير في كيفية النجاة من النار ، والفرار مما قبلها من أهوال ، وأما الجنة ؛ كل الجنة ؛ ولا سيما الفردوس فلها حسابات أخرى !! وسعي آخر رأيت أن همتي وعزمي وعملي دونه بكثير ، وأن المعاصي التي ارتكبتها والذنوب التي قارفتها لا يكفيها البكاء من يومي هذا إلى الممات ، وأنني إن لم تتداركني رحمة الله بالمغفرة ، أصبحت من الخاسرين . فكيف كان ذلك ؟!! .

## [ ٢ ] إدراك مفهوم الذنب :

لقد اجتمعت مجموعة من الأمور جعلتني أراجع حساباتي السابقة ، وأنظر إلى الأمر نظرة جديدة ، وكان أول ما أيقظ شعوري بخطأ تصوراتي السابقة حول الجنة والنار – وأنا في بداية الطريق – هو إدراكي لمعنى الذنب ، وأن

معصية الله سبحانه وتعالى شيء كبير ، وكان مما أشعل في نفسي هذا المعنى كلمة لأحد الصالحين يقول فيها : « لا تنظر إلى صغر الذنب ، ولكن انظر من عصيت » !! .

ووجدت مصداق ذلك فيما يتصف الله به من صفات كماله وأنعامه وتفضله على عباده ، وأن حقه سبحانه وتعالى على عباده أن يتقوه حق تقاته ، وأن يطيعوه ولا يعصوه ، وأن يشكروه ولا يكفروه ، وأن يذكروه ولا ينسوه ، ومن الذي يستطيع أن يقوم بذلك على وجهه الكامل ؟ ووجدت أن الله سبحانه وتعالى يحذر عباده من عقوبته ، وأنه يؤاخذ بالذنب صغيره وكبيره !! وتيقنت أن حق الله على عباده أعظم وأكبر من كل ما يأمرهم به ، وأن الجميع تحت رحمته وطوع أمره ، وأنه سبحانه ﴿ **لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (٢٦)** ﴾ [ الفجر : ٢٥ ، ٢٦ ] .

## [ ٣ ] لماذا كانت المعصية شيئاً عظيماً ؟ :

المعصية في ذاتها شيء عظيم لأنها مخالفة لأمر الرب الإله الذي لا إله إلا هو ، خالق السموات والأرض ، وخالق

كل شيء ، وهو رب كل شيء ومليكه الذي خضع له كل شيء ، وذل له كل شيء ، فهو القاهر فوق عباده ، وهو الحكيم الخبير الذي لا يغيب عنه من شؤون عباده صغير ولا كبير ... فهو القائم على كل نفس بما كسبت ، والذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ... الذي تخافه الملائكة العظام الكرام ، وتكاد السموات أن يتفطرن من فوقهن فرقاً وخوفاً منه .

والذي يمسك السموات والأرض أن تزولاً ... والذي لا يحيط أحد من خلقه علماً به ، وهو يحيط علماً بكل مخلوقاته، ولا يغيب عنه سبحانه خطرات قلوبهم ولا نزغات نفوسهم ، ولا وساوس صدورهم الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً ، والذي لا يقبل من أحد من مخلوقاته إلا الإذعان له ، والإستسلام لأمره .

والذي يكرم من شاء من خلقه وعباده فلا يكون لإكرامه منتهى ولا لعطائه حد ، ويهين من شاء من خلقه، فلا تكون لإهانته مثيل ، ويعذب من أراد من عبيده فلا

يكون لعذابه نهاية ، ولا لعذابه شبيه ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (٢٦) ﴾ .

[ الفجر : ٢٥ - ٢٦ ] .

وهو الرب الإله الذي جعل الخلق كله له والأمر كله له ، فلا يخلق إلا هو ، ولا يستطيع غيره أن يخلق ذَرَّة ، ولا بُرَّةً ، ولا ذباباً ، والذي يملك نفع خلقه وضرهم فلا يملك غيره لأحد من خلقه لنفسه نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء هو .. وهو الرب الإله خالق السماوات والأرض الذي لا يكرثه ولا يتعبه خلق السموات والأرض ولا حفظهما في أماكنها ومدارتها .

فمن ذا يستطيع أن يضع الشمس في مكانها غيره ؟ وأن يضع القمر في مكانه غيره؟ والنجوم في مساراتها والمجرات في مجاريها ؟ومن الذي أتقن كل ذلك، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾

[ فاطر : ٤١ ] .

فهو مالك الملك كله ، ومدبر الكون كله ومدبر الكون كله لم يساعده أحد ولم يعاونه أحد في خلق الكون ، ولا حفظه ، بل هو الخالق لكل ما في الكون والحافظ له ، والمقيم له ، وهو الذي يفرط عقد هذا الكون وقتما يشاء ، ويبدل السموات والأرض وقتما يريد . قال تعالى: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ ﴾ [ الانفطار ١ – ٥ ] .

وقال تعالى : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ ﴾ [ التكوير ١ – ١٤ ] .

وقال تعالى: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا

وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥) ﴾ [ الانشقاق ١ - ٥ ] .

هذا الرب الإله سبحانه وتعالى الذي وصف نفسه في القرآن فقال : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤) ﴾ [ الأعراف : ٥٤ ] .

وقال جل وعلا : ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥) ﴾ [ البقرة : ٢٥٥ ] .

وقال جل وعلا : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ (٤) يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ

السَّمَاء إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (٥) ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ (٩) ﴾ [ السجدة : ٤-٩ ] .

وقال جل وعلا: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤) ﴾ .

[ إبراهيم ٣٢ - ٣٤ ] .

وهكذا فإن معصية هذا الرب العظيم الكبير المتعالى أمر عظيم ، ومخالفته فيما أوجب على عباده ذنب كبير جداً .

**[٤] حق الله على عباده أكبر من كل ما يأمرهم به :**

ثم إن مما يجعل مخالفة أمر الله سبحانه وتعالى أمر عظيم ، وإثم كبير هو أن حق الله على عباده أكبر مما يأمرهم به ، فإن الله هو خالق الخلق ، ومدبر شؤونهم ، والمتفضل عليهم بنعمة الوجود أولاً ، ثم ما من نعمة إلا وهي منه سبحانه وتعالى ، فهو وحده الرزاق لكل عباده وهو ربهم الذي يكلئهم ويرعاهم ، ويربيهم برحمته ، وليس لهم رب سواه ، ولا إله لهم غيره .

ولو أمر عباده بما أمر ، فإن هذا حقه على عباده فإنه خالقهم وربهم ، ومنشئهم من العدم ، ومع ذلك فلا يكلف سبحانه وتعالى نفساً إلا وسعها ولا يأمر عباده إلا بما ينفعهم ، وإذا أمرهم فإنه يأمرهم وهو غني عنهم ، غير فقير لعبادتهم ، وعبادة العباد له هي من جملة الفضل الذي يتفضل به عليهم ، لأنها سبب لزكاتهم وطهارتهم ، وسبب لنيل مرضاته ورحمته وجائزته ، وهكذا تصبح معصية العاصي أمراً عظيماً ، وإثماً كبيراً لأنه يخالف الرب الإله

الذي أحسن وأكرم ، وخلق ورزق ، وتحنن على عبده !! .

**[ ٥ ] الدين الذى لا يقبل الله من عباده غيره هو الإسلام:**

والدين الذي لا يقبل الله من عباده غيره هو الإسلام ، ومعناه الاستسلام لله بتصديق خبره وتنفيذ أمره ، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ** ﴾ [آل عمران ١٩] . وقال جل وعلا : ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [ آل عمران ٨٥ ].

والإسلام هو الدين الذي رضيه الله لعباده ﴿ **وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [ المائدة ٣ ] . وهو دين ملائكته وكل طائع له طوعاً من خلقه . قال تعالى : ﴿ **يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٥٠)** ﴾ [ النحل ٥٠ ] ، ودين السموات والأرض ، قال تعالى : ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١)** ﴾ [ فصلت ١١ ] !!! .

وأما من لم يطعه طوعاً من خلقه فكرهاً : ﴿ **أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا**

وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣) ﴾ [ المائدة ٨٣ ] .

## [ ٦ ] تكذيب الخبر كفر ، ورد الأمر كفر :

ومن رد خبر الله سبحانه وتعالى ، أو كذب بشيء من الغيب الذي قصه علينا فقد كفر ، وكذلك من رد أمر الله سبحانه وتعالى وأبي أن يطيعه استكباراً وعناداً فقد كفر .

والمعصية الأولى التي عصى بها إبليس كانت من النوع الثاني أعني [illegible] الأمر ، فإن الله قد أمره بالسجود لآدم فقال: ﴿ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [ الإسراء ٦١ ] . ولم يكن إبليس – لعنه الله – مكذباً بشيء من أخبار الله ، وإنما انحصرت معصيته في رد الأمر الإلهي كبراً وعلواً عندما ظن أن هذا الأمر يخالف الحكمة إذ زعم أن الفاضل لا يسجد للمفضول ، وقد رأى نفسه ، وقد خلق من النار أفضل من آدم المخلوق من الطين ، وقياس ذلك قياس فاسد ، ولما أصر إبليس على معصيته كان جزاؤه أن لعنه الله أبداً وطرده من رحمته سرمداً ، فمعصية إبليس إذن كانت إباءاً ورداً للأمر الإلهي ، ومن أجل ذلك كفر إبليس ،

ولعن وطرد من رحمة الله .

وأما المعصية الثانية التي عصى بها الله سبحانه وتعالى ، فقد وقعت من آدم عليه السلام ولما لم تكن عناداً ، وإنما كانت ضعفاً ونسياناً كما قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥)** ﴾ [ طه ١١٥ ] . ثم إن آدم لم يصر عليها ، بل سارع إلى الفرار منها والاعتذار عنها قال تعالى : ﴿ **وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٢) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣)** ﴾ [ الأعراف ٢٢ – ٢٣ ] ، فلما اعترف آدم وزوجته بالخطيئة ، وسارعا إلى التوبة والإنابة ، فإن الله سبحانه قبل عذره ، وأقال عثرته .

والناظر في معصية آدم يجد أن هذه المعصية قد كانت مخالفة للأمر الإلهي فقط ، فإن الأكل من شجرة في الجنة ليس إثماً في ذاته ، لولا أنه معصية لله الذي أمره ألا يأكل من هذه الشجرة .

## [ ٧ ] العبودية لله هي طاعة الأمر فيما عقل معناه وما لم يعقل معناه :

والعبودية لله إنما هي في طاعة أمره أياً كان هذا الأمر في صغير أو كبير ، فيما يوافق معقول المأمور ، أو يخالف معقوله ، فإن الرب الإله سبحانه وتعالى هو أعلم بما يأمر به وينهى عنه ، والعبد لا يكون عبداً على الحقيقة إلا إذا أطاع معبوده دون تردد أو توقف أو نظر أو سؤال ؛ لم أمر بكذا ؟ ولم نهى عن كذا ؟ ولو كان العبد لا يطيع إلا فيما عقل وفهم لكانت طاعته لمعقوله ومفهومه وليس لخالقه وإله ومولاه ... .

فإن الإنسان يطيع عقله ، وقلبه في أشق الأمور على نفسه وبدنه ، بل قد يركب الصعب والذلول في تنفيذ ما يأمره به سلطان العقل ، أو سلطان القلب والهوى .

ولو كانت طاعة الله تابعة لسلطان العقل والقلب والهوى لكان المعبود حقاً هو العقل والقلب والهوى وليس الله سبحانه وتعالى ... بل العبودية أن يطيع العبد ربه فيما

يخالف سلطان عقله وقلبه وهواه .

بل إن الدين قائم على مخالفة ما تهواه النفوس ، وما يخالف رأى الإنسان ومعقوله أحياناً وهذا هو معنى التعبد لله .. ولا يمنع أن يكون في الدِّين ما يوافق معقول الإنسان ونظره ، ولكن الله سبحانه وتعالى شاء أن يتعبد عباده بما يحكم به هو سبحانه وتعالى ، لا بما يرونه بأنفسهم أو يعقلوه بعقولهم ، أو تهواه أنفسهم .

## [ ٨ ] إبراهيم عليه السلام هو الإمام والمثال والقدوة والأسوة في المسارعة إلى تنفيذ أمر الله سبحانه :

هذا نبي الله إبراهيم جعله الله إماماً للناس جميعاً ، وجعل النبوة في ذريته دون سائر البشر ، ولم يصل إبراهيم عليه السلام إلى ما وصل إليه من إمامة الدين إلا أنه أُمر بأوامر إلهية تخالف معقول البشر فنفذها إبراهيم عليه السلام على النحو الذي أمره الله بها تماماً . قال تعالى : ﴿ **وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا** ﴾ [ البقرة ١٢٤ ] ، وكان مما أُمر به مما يخالف معقول

البشر أن يلقي زوجته هاجر وابنها اسماعيل في أرض مقفرة موحشة لا إنس فيها ولا شيء وهي أرض مكة ، وليس معهم أحد على الإطلاق وليس لهم من الزاد إلا جراب تمر ، وقربة ماء .. ثم كر عائداً وحده إلى بلاد الشام .

وهذا الأمر الإلهي لإبراهيم عليه السلام يخالف معقول البشر فإن أحداً لو فعل ذلك من عند نفسه لكان فعله جريمة وإثماً !! .

وكذلك أمر الله سبحانه وتعالى له بأن يقتل ابنه بكره إسماعيل عليه السلام بعد أن شب وبلغ مبلغ الرجال ، فسارع إلى تنفيذ الأمر دون تلكأ أو نظر ، أو تسويف ، ولو أن إنساناً عمد إلى أن يقتل ابنه دون أمر من الله لكان هذا جريمة وإثماً .

فقد روى الإمام البخاري – رحمه الله – بإسناده إلى ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : « أول ما اتخذ النساء المِنْطَق من قِبَلِ أم إسماعيل ، اتخذت منطقاً لتُعَفِّي أثرها على سارة ، ثم جاء بها إبراهيم وبإبنها إسماعيل وهي ترضعه حتى

وضعهما عند البيت ، عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء فوضعهما هنالك ، ووضع عندها جراباً فيه تمر وسقاءاً فيه ماء ، ثم قفَّى إبراهيم منطلقاً .

فتبعته أم إسماعيل فقالت : يا إبراهيم أين تذهب وتركتنا في هذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً ، وجعل لا يلتفت إليها فقالت: آلله أمرك بهذا ؟ قال: نعم . قالت: إذن لا يضيعنا ، ثم رجعت.

فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال : ﴿ **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ** ﴾ حتى بلغ ﴿ **يَشْكُرُونَ** ﴾ [ إبراهيم ٣٧ ] ، وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل ، وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نَفَدَ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها ، فجعلت تنظر إليه يتلوى ، أو قال : يَتَلَبَّط ، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل

في الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً فلم تر أحداً ، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً فلم ترَ أحداً ، ففعلت ذلك سبع مرات » .

قال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي ﷺ : « فذلك سعى الناس بينهما » .

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت : صَهْ !! تريد نفسها ، ثم سمعت فسمعت أيضاً ، فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواث !! فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه ، أو قال : بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوّضه وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف ... .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : قال النبي ﷺ : « **يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم** ، أو قال : – **لو لم تغرف من**

زمزم - لكانت زَمزَمُ عيناً معيناً » .

قال : فشربت وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لا تخافوا الضَّيعَة ، فإن هذا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله ، وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذه عن يمينه وشماله ، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جُرْهُم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كُدَاء ، فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائراً عائفاً فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء ، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء ، فأرسلوا جرياً أو جريين فإذا هم بالماء ، فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا .

قال : وأم إسماعيل عند الماء فقالوا : أتأذنين أن ننزل عندك ؟ قالت: نعم . ولكن لا حق لكم في الماء !! قالوا : نعم . قال ابن عباس : قال النبي ﷺ : « فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأُنْسَ » فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم حتى إذا كانت بها أهل أبيات منهم ، وشب الغلام وتعلم العربية منهم ، وأنفسهم وأعجبهم حين شب ،

فلما أدرك زوجوه امرأة منهم .

وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته ، فلم يجد إسماعيل ، فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا ، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت : نحن بِشَرٌّ !! ونحن في ضيق وشدة !! فشكت إليه . قال : فإذا جاء زوجك اقرئ عليه السلام وقولي له يُغيِّر عتبة بابه ، فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً فقال : هل جاءكم أحد؟ قالت : نعم ، جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك ، فأخبرته ، وسألني كيف عشنا ، فأخبرته أنا في جهد وشدة ، قال : فهل أوصاك بشيء ؟ قالت : نعم ! أمرني أن أقرأ عليك السلام ، ويقول : غَيِّرْ عتبة بابك ، قال : ذاك أبي ، وقد أمرني أن أفارقك !! ، إلحقي بأهلك فطلقها !! وتزوج منهم امرأة أخرى .

فلبث عنهم إبراهيم ماشاء الله ثم أتاهم بعد فلم يجده، فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت : خرج يبتغي لنا ، قال : كيف أنتم ؟ وسألها ما طعامكم ؟ قالت : اللحم !!

قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء ، قال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء .

قال النبي ﷺ : « **ولم يكن لهم يومئذ حَبٌّ ولو كان لهم دعا لهم فيه** » ، قال : فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه ، قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومُريه يثبت عتبة بابه ، فلما جاء اسماعيل قال : هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم ، أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فأخبرته ، فسألني كيف عيشنا ؟ فأخبرته أنّا بخير ، قال : فأوصاك بشيء ، قالت : نعم ! هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك ، قال : ذاك أبي وأنت العتبة ، أمرني أم أمسكك .

ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبرى نبلاً له تحت دوحة قريباً من زمزم ، فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ، ثم قال : يا إسماعيل إن الله أمرني أن ابني ها هنا بيتاً وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها ، قال : فعند ذلك رفعا

القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة ، وإبراهيم يناوله الحجارة يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني ، وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان : ﴿ **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** (١٢٧) ﴾ [ البقرة ١٢٧ ] . قال : فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت ، وهما يقولان ﴿ **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** (١٢٧) ﴾ « رواه البخاري » .

## [ ٩ ] الجانب التعبدي في الإسلام كبير جداً :

وإذا كانت الشريعة المنزلة على محمد ﷺ في عمومها مما يوافق معقول أهل العقل والحجا والحكمة ، إلا أن الجانب التعبدي فيها كبير جداً ... فإن مواقيت الصلاة ، وأعداد الركعات ، وهيئات الصلاة ، وكون الزكاة في بعض الأموال وليست في جميعها ، وتقدير النصاب ، وصفة الصوم ، وأعمال الحج من طواف وسعي وتقبيل للحجر الأسود ، والوقوف بعرفة ، والمبيت بمزدلفة ، ورمي الجمار ، كل ذلك من الأمور التعبدية التي يراد منها ابتلاء

طاعة العباد لربهم وخالقهم سبحانه وتعالى ، كما أن الحدود والعقوبات الشرعية الشأن فيها التعبد لله سبحانه وتعالى بتنفيذ أوامره والإنتهاء عن نهيه جل وعلا .. .

وكذلك ما أباحه الله وما حرمه .. فإن الله أباح البيع وحرم الربا ، وقد يكسب البائع في بيعه ألفاً في المائة ، وقد يكون الربا المحرم درهم في الألف ، ويبقى الربا حراماً والبيع حلالاً .. وقد أمرت المرأة أن لا تحد على ميت أكثر من ثلاثة أيام ، ولو كان الميت أعز الناس لديها كإبنها وأخيها وأبيها ، ولكنها يجب أن تحد على زوجها أربعة أشهر وعشرا !! .

ولا شك أن وراء كل أمر إلهي حكمة عليا قد يخبرنا الله بها ، وقد يهدينا إلى معرفتها ، وقد يخفيها عنا ، وفي كل ذلك يجب على المكلف أن يسمع ويطيع ، وأما إن علق طاعته لله على فهمه ومعقوله ومعرفته لحكمة الآمر ، فإنه لا يكون عابداً لله على الحقيقة ولو رد الأمر الإلهي ظاناً أنه مخالف للحكمة والعقل لكان كافراً ، وكان كفره

ككفر إبليس الذي لم تكن جريمته إلا رد الأمر الإلهي كفراً وكبراً وعناداً .

## [ ١٠ ] المفهوم الشمولي لمعنى الذنب :

إذا عرف العبد ربه على الحقيقة ، وأنه هو خالقه ورازقه ، ومتولي شؤونه ، ومن بيده نفعه وضره ، ومن يعلم علانيته وسره ، وحياته ومماته ، وأن العبد لا يستغني عنه طرفة عين ، علم أن حق الله على عباده أن يطيعوه فلا يعصوه ، وأن يشكروه ولا يكفروه ، وأن يذكروه ولا ينسوه ، وأن يتقوه حق تقاته .

وكل تقصير في هذه الحقوق تقصير ومعصية .. فالغفلة ولو للحظة واحدة عن ذكر الله إثم ، وعدم القيام بشكر نعمة واحدة من نعم الله التي لا تحصى إثم ، ومعصية أمر الله في الكبير والصغير إثم .

وقد أمر الله عباده أن يتقوه حق تقاته ، أي كما ينبغي له إذ هو سبحانه وتعالى أهل لأن يتقي ، فهو الرب الإله

القائم على كل نفس بما كسبت ، قال تعالى : ﴿ **وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦١)** ﴾ [ يونس ٦١ ] .

وقد علم الله سبحانه وتعالى أن عباده لا يطيقون أن يقوموا بحقه وأن يتقوه كما ينبغي له سبحانه وتعالى ، ففرض عليهم من ذلك ما يستطيعون فقال جل وعلا : ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا** ﴾ [ التغابن ١٦ ] ، فمن غفل عن ذكر الله الواجب المستطاع فهو آثم ، كما قال ﷺ : « **ما من قوم جلسوا مجلساً ثم قاموا منه ولم يذكروا الله فيه إلا كان هذا المجلس عليهم ترة يوم القيامة** » أي حسرة وندامة.. ولا حسرة إلا في ترك واجب

ومن قصر في شكر نعمة عرفها فهو آثم ولو كانت في شربة ماء شربها ، ولم يحمد الله عليها ، قال تعالى : ﴿ **ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨)** ﴾ [ التكاثر ٨ ] ،

وقد قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر لما خرجا من بيوتهم بسبب الجوع ثم أضافهم أنصاري فقدم لهم عذقاً من تمر ورطب فأكلوا وقدم لهم ماءاً بارداً فشربوا .. قال رسول الله ﷺ : « **إن هذا من النعيم ولتسألن عنه يوم القيامة** » .

ومن عصى الله في صغير أو كبير فهو تحت الحساب والمؤاخذة إلا أن يغفر الله ذنبه إذا علم هذا علم معنى الذنب الذي ينسب إلى الأنبياء والرسل فإنه ليس كبيرة بحال ، وليس تعمداً لمعصية الله ، وإنما قد يكون اختياراً لخلاف الأولى ، أو انقطاعاً لحظة عن الذكر الدائم ، أو قعود لحظة عن الشكر الدائم ، قال رسول الله ﷺ : « إنه لَيُغَانُ على قلبي وإني أتوب إلى الله في اليوم أكثر من مائة مرة » .... .

وكان رسول الله ﷺ يصلي من الليل حتى تتفطر قدماه ، فإذا سئل في ذلك قال : « **أفلا أكون عبداً شكوراً** » ، فمن عرف حق الله على عباده ، وعرف أن حقه يعظم كلما عظمت نعمته على العبد وعلم أن حق الله سبحانه على عبده أن يذكره فلا ينساه ، ويشكره فلا

يكفره ، وأن يطيعه فلا يعصاه ، وأن يخافه ويتقيه كما ينبغي لجلاله وعظيم سلطانه ...

علم العبد عند ذلك ماذا تعني المعصية والذنب ؟ .

**[ ١١ ] المؤاخذة بالمعصية :**

كل من عصي الله سبحانه وتعالى فهو تحت المؤاخذة إلا أن يغفر الله ذنبه ، والمؤمن قد يؤاخذ بمعصيته في الدنيا، ويحصل له من البلاء ما يطهر ذنبه ويعلى درجته ، وقد يؤاخذ الله بعض أنبيائه في الدنيا بسبب معصية صغيرة تقع منهم ومن ذلك .

**﴿ أ ﴾ آدم عليه السلام ومعصيته للأمر الإلهي :**

فأدم عليه السلام الذي لم تكن معصيته إلا أنه خالف الأمر الإلهي بأكله من شجرة نهاه أن يأكل منها ، ومعصية آدم بالأكل من الشجرة فإنها – والله تعالى أعلم – لم تكن فاحشة في ذاتها ولا إثماً لولا المعصية ، فقد أباح الله لآدم الأكل من كل أشجار الجنة ، فليس الأكل من هذه الشجرة مذهباً للعقل ، ولا ضاراً في النفس أو البدن ، ولا

تعدياً على حق مخلوق ، ونحو ذلك مما هو من تعليل الإثم ، وإنما كانت معصية آدم فيما أخبرنا الله به – والله تعالى أعلم – في أنه أطاع الشيطان الذي حذره الله من طاعته ، وأنه عصى الله فيما أمره به ، قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا** ﴾ [ طه ١١٥ ] ، وقال تعالى: ﴿ **وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾ .

[ الأعراف ٢٢ ] .

ومع ذلك كان من آثار هذه المعصية آلاماً طويلة في الدنيا منها : خروج آدم وزجه من الجنة ، وتعرضه هو وذريته لما يتعرضون له من البلاء في هذا الدار .. وإلى يوم القيامة !! .

### ﴿ ب ﴾ نوح عليه السلام ووعظ الله له :

وهذا نبي الله نوح عليه السلام سماه عبداً شكوراً ، وكان من أولي العزم من الرسل ، وقد قام في عبادة الله سبحانه وتعالى ألف سنة إلا خمسين عاماً يتحمل في أثنائها الكرب

الطويل والأذى البالغ، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٧٥) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) ﴾ [ الصافات ٧٥ – ٧٦ ] .

ولما دعا نوح ربه قائلاً : ﴿ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) ﴾ [ هود : ٤٥ ] أجابه الله سبحانه : ﴿ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) ﴾ [ هود ٤٦ ] .

فقال العبد الصالح ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧) ﴾ [ هود ٤٧ ] .

فاعترف عليه السلام بذنبه ، وأنه قد قال قولاً لاعلم له به!!.

## ﴿ جـ ﴾ يونس عليه السلام والسجن فى بطن الحوت :

وهذا يونس عليه السلام عاقبه الله لأنه ترك قومه الذين كذبوه وآذوه ، دون أن يأذن الله له ، فسجن في بطن الحوت إلى أن تداركته رحمة الله بالخروج ، ضعيفاً مريضاً ، قال

تعالى : ﴿ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) ﴾ [ الصافات ١٤٣-١٤٤ ] .

وقال تعالى : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨) ﴾ [ الأنبياء ٨٧-٨٨ ] .

**( د ) الوعيد بالعذاب لقبول الفداء من الأسري:**

ونبينا ﷺ عاتبه الله سبحانه بعد قبوله فداء الأسرى ويقول : « **لقد عرض عليّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة** » !! .

فقد روى الإمام أحمد قال : حدثنا عبد الله بن أبي ثنا أبو نوح أنبأنا عكرمة بن عمار ثنا سماك أبو زميل حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « لما كان يوم بدر قال : نظر النبي ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاث مائة ونيف ، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة ، فاستقبل النبي ﷺ القبلة ، ثم مد يديه وعليه رداؤه وإزاره ثم قال :

اللهم أين ما وعدتني به ؟ اللهم أنجز ما وعدتني ، اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبداً » .

قال : فما زال يستغيث ربه عز وجل ويدعوه حتى سقط رداؤه ، فأخذ « أبو بكر » رداءه فرداه ثم التزمه من ورائه ، ثم قال : يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك ، وأنزل الله عز وجل ﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ** ﴿٩﴾ ﴾ [ الأنفال ٩ ] .

فلما كان يومئذ والتقوا ، فهزم الله عز وجل المشركين فقتل منهم سبعون رجلاً ، فاستشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : يانبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان فإني أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار ، وعسى الله أن يهديهم فيكونون لنا عضداً ، فقال رسول الله ﷺ : « **ما ترى يا ابن الخطاب** ؟ » قال : قلت والله ما أرى رأى أبي بكر ،

ولكني أرى أن تمكنني من فلان – قريباً لعمر – فأضرب عنقه ، وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان – أخيه – فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين .

هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم !! فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر رضي الله عنه ولم يهو ما قلتُ ، فأخذ منهم الفداء .

فلما أن كان من الغد قال عمر رضي الله عنه : غدوت إلى النبي ﷺ فإذا هو قاعد وأبو بكر وإذا هما يبكيان !! فقلت : يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك ؟ فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما !! قال : فقال النبي ﷺ : « الذي عرض عليّ أصحابك من الفداء ،لقد عُرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة » لشجرة قريبة ، وأنزل الله عز وجل : ﴿ **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ** ﴾ [ الأنفال ٦٧ ] ، إلى قوله تعالى : ﴿ **لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ**

عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨) ﴾ [ الأنفال ٦٨ ] .

ثم أحل لهم الغنائم فلما كان يوم أُحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون وفر أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ وكسرت رَبَاعِيَّته وهُشِّمَت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه ، وأنزل الله تعالى: ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا ﴾ [ آل عمران ١٦٥ ] بأخذكم الفداء « رواه أحمد » .

## [ ١٢ ] الرسل عليهم السلام يخافون ذنوباً لو كانت لأحدنا لعدها من الطاعات :

الرسل عليهم السلام يخافون ذنوباً لو كانت هذه الذنوب نفسها لأحدنا لعددناها من الطاعات والقربات .. فمن منا لا يتمنى أن يكون صنع ما صنع إبراهيم عليه السلام من كذبه على قومه عباد الأصنام عندما قال لهم : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩) ﴾ [ الصافات ٨٩ ] ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ [ الأنبياء ٦٣ ] ، حتى يحطم أصنامهم ،

ويرجعهم إلى عقولهم ورشدهم ؟!! ومن منا لا يتمنى أن يقول عن زوجته هي أختي ينقذها ونفسه من جبار كافر أراد أن يقتله ويستحوذ على زوجته !! ومع ذلك يقول إبراهيم عليه السلام يوم القيامة معتذراً عن التصدر للشفاعة خائفاً من معصيته !! : « **إني قد كذبت ثلاث كذبات !!** » . ( رواه البخاري ) .

وهذا نبي الله موسى عليه السلام ، وهو من أولي العزم والرسل ، يقتل نفساً قتلاً شبه عمد وليس عمداً ، ويقتله بغير قصد قتله ، يقتله دفاعاً عن مظلوم ، وهذا الفعل منه كان قبل الرسالة ، ومع ذلك يقول : ﴿ **رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** (١٦) ﴾ [ القصص ١٦ ] . ومع ذلك يظل موسى خائفاً من فعلته هذه إلى يوم القيامة ويقول: « **إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قد عصيت ربي فقتلت نفساً لم أومر بقتلها** » .

( رواه البخاري ) .

ومن منا لا يتمنى أن يكون صنع ما صنع موسى في دفاعه عن مظلوم من قومه !! .

## [ ١٣ ] ازدياد الخوف من الله مع زيادة الإيمان ونقص الخوف مع نقص الإيمان :

كلما تبلد الشعور ، وزاد البعد عن مصدر النور ، زال الإحساس بالذنب ، فالكفار يكفرون ، ويجرمون ويفسقون وهم يضحكون ، والفاجر والمنافق يرى ذنبه كأنه ذباب يحط على أنفه لو أشار إليه بيده رده ، والمؤمن يرى ذنبه كالجبل يوشك أن يسقط عليه ، وكان أنس بن مالك يقول وكان قد عمر زماناً بعد النبي ﷺ : « أنكم تعملون أعمالاً كنا نعدها من الكبائر على عهد رسول الله ﷺ وهي في أعينكم أصغر من الشعر » .

## [ ١٤ ] ألوان وأنواع العقوبات لعصاة المؤمنين :

كل ذنب داخل في الحساب إلا ما يغفره الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨** ﴾ [ الزلزلة ٧-٨ ] .

وبعض العصاة الموحدين قد يُعذبون في النار ، أو في القبر ، أو في الحشر في صغائر من الذنوب ، وفي كبائر يظنها بعض الناس صغائر ، فامرأة يراها النبي في النار في هرة حبستها حتى ماتت جوعاً ، وقتيل مع الرسول ظنه الصحابة شهيداً فقال النبي ﷺ : « **كلا ، إني رأيته في النار في بردة غلها** » ( رواه مسلم ) ولم تكن هذه البردة تساوي أربعة دراهم !! .

والرجل يتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى بها بالاً فتهوي به في النار سبعين خريفاً .

ونساء كثيراتٌ كثيراتٌ من أهل التوحيد يدخلن النار لأنهن يكثرن اللعن ، ويكفرن العشير !! .

ورجال يحبسون في النار في ردغة الخبال ، ووسط عصارة وصديد أهل النار لأنهم تكلموا في إخوانهم المسلمين بغير حق ، قال رسول الله ﷺ : « **من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله ، ومن خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى**

ينزع عنه ، ومن قال في مؤمن ماليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال » [ رواه أبو داود ] .

**والوعيد الشديد لعصاة أهل التوحيد يشمل المعاصي كلها صغيرها وكبيرها ، فقاتل النفس عمداً يقول الله فيه :** ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [ النساء ٩٣ ] .

**وآكل الربا يقول الله فيه :**

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) ﴾ [ البقرة ٢٧٥ ] .

**والكنازون مانعي الزكاة يقول الله في وعيدهم :**

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ

جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [ التوبة ٣٤ ] .

**وفي هذا يقول النبي ﷺ : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار ، فأحمى عليها في نار جهنم ، فيكوى بها جنبه ، وجبينه ، وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضي بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار »** .

[ رواه مسلم ] .

والذي يقتطع حق امرئ مسلم بيمينه – ولو كان هذا المقتطع شيئاً يسيراً ولو عوداً من أراك – فقد أوجب الله له النار ، وحرم عليه الجنة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [ آل عمران ٧٧ ] .

**وفي هذا يقول النبي ﷺ : « من اقتطع حق امرئ**

**مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة** » فقال رجل : وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله ؟ **فقال** : «**وإن قضيباً من أراك** » . [ رواه مسلم ] .

ورأى النبي ﷺ رجلاً من أصحابه لبس خاتماً من ذهب ، فاقتلعه النبي من أصبعه ، ورمى به قائلاً : « **يعمد أحدكم إلى جمرة من نار ، فيجعلها في يده** » !! . [ رواه مسلم ] .

وامرأة كانت من أهل النار لأنها تؤذي جيرانها بلسانها !! وفقير من فقراء المهاجرين ، عذب في قبره لأنه مات وكان عليه ديناران لم يسددهما !! وظل يعذب حتى تصدق عليه أبو قتادة وسدد عنه دينه !! .

ورجلٌ يعذب في قبره لأنه كان لا يستنزه من بوله ، وآخر يعذب لأنه يمشي النميمة بين الناس ، وقال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة قتات !! – نمام – ولا يدخل الجنة قاطع !! ، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر !! » ، وأن الكبر بطر الحق وغمط الناس ..

وكم يقع مثل هذا !! .

اللهم إني أستغفرك لذنبي ، وأعوذ بك من شر نفسي وسيئات عملي .

ومما قصه النبي ﷺ من عذاب عصاة المؤمنين قوله : «إنه أتاني الليلة آتيان وإنهما ابتعثاني وإنهما قالا لي : انطلق وإني انطلقت معهما ، وإنا أتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة ، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فَيَثْلَغُ رأسه ، فيتدهده الحجر هاهنا ، فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه ، حتى يصح رأسه كما كان ، ثم يعود عليه فيفعل به كما فعل به المرة الأولى .

قال : قلت لهما سبحان الله !! ما هذان ، قال : قالا لي : انطلق انطلق ، فانطلقنا على رجل مُسْتَلقٍ لقفاه ، وإذا آخر قائم عليه بكُلُّوب من حديد ، وإذا هو يأتي أحد شِقَّي وجهه ، فيشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه ، وعينه إلى قفاه ، ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول ، فما يفرغ من ذلك الجانب

حتى يصح ذلك الجانب كما كان ، ثم يعود عليه فيفعل مثل ما يفعل في المرة الأولى .

قال : قلت : سبحان الله ما هذا ؟ قال : قالا لي : انطلق انطلق . فانطلقنا فأتينا على مثل التنور ، وأحسب أنه كان يقول : فإذا فيه لغط وأصوات فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة !! وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم ، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضَوْضَوْا ، قال : قلت : ما هؤلاء ؟ قال : قالا لي : انطلق انطلق !! .

قال : فانطلقت فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول : أحمر مثل الدم ، وإذا في النهر سابح يسبح ، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة ، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ، ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيغفر له فاه ، فيلقمه حجراً ، فينطلق يسبح ، ثم يرجع إليه كما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجراً ، قال : قلت لهما : ماهذان ؟ قال : قالا لي : انطلق انطلق !! .

فانطلقنا ، فأتينا على رجل كريه المرآة أو كأكره ما

رأيت من راءٍ رجلاً مرآة ، وإذا هو عنده نار يَحُشُّها ويسعى حولها ، قال : قلت لهما : ما هذا ؟ قالا لي : انطلق انطلق ، فانطلقنا فأتينا على روضة معتمة فيها من كل لون الربيع ، وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولاً في السماء ، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط ، قال : قلت لهما : ما هذا ؟ ما هؤلاء ؟ قال : قالا لي : انطلق انطلق ، فانطلقنا ، فأتينا إلى روضة عظيمة لم أر روضة قط أعظم منها ، ولا أحسن . قال : قالا لي : ارْقَ فيها فارتقيت فيها ، قال : فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة ، فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا ، فدخلناها فتلقانا رجال شطر من خَلْقِهم من أحسن ما أنت راءٍ ، وشطر كأقبح ما أنت راء . قال : قالا لهم : اذهبوا فقعوا في ذلك النهر ، قال : إذا هو نهر معترض يجري كأن ماءه المحض في البياض فذهبوا فوقعوا فيه ، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم ، فصاروا في أحسن صورة قال : قالا لي : هذه جنة عدن ،

وهَذَاكَ منزلك ، فسما بصري صعداً ، فإذا قصر مثل الربابة البيضاء ، قالا لي : هذاك منزلك ؟ .

**قلت لهما :** بارك الله فيكما فذراني فأدخله ، قالا : أما الآن فلا وأنت داخله .

**قلت لهما :** فإني رأيت الليلة عجباً ، فما هذا الذي رأيت ؟ قالا لي : أما إنا سنخبرك أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يلثغ رأسه بالحجر ، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه ، وينام على الصلاة المكتوبة .

وأما الرجل الذي أتيت عليه يُشَرْشَرُ شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه ، فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق .

وأما الرجال والنساء العراة الذين هم في مثل بناء التنور ، فهم الزناة والزواني .

وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويُلْقَمُ الحجارة فإنه آكل الربا .

وأما الرجل الكريه المرآة الذي عند النار يحشها ويسعى

حولها ، فإن مالك خازن جهنم .

وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم ، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة .

**وفي رواية البرقاني :** « ولد على الفطرة ، فقال بعض المسلمين : يا رسول الله وأولاد المشركين فقال رسول الله ﷺ : وأولاد المشركين !! وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشرط منهم قبيح ، فإنهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، تجاوز الله عنهم » . [ رواه البخاري ] .

## [ ١٥ ] حال المؤمن بين الخوف والرجاء :

كنت أسمع كثيراً وأنا في مراحل العلم الأولى أن المؤمن يجب أن يكون خائفاً راجياً ، خائفاً من العذاب وراجياً رحمة الله وفضله في الجنة والمغفرة ... وكان يقرع آذاني كسائر المتعلمين للعلم الشرعي - الآيات والأحاديث - في ذلك : آيات الوعد والوعيد ، وأحاديث البشارة والنذارة ... ولكني كنت ككثير من الناس أغلب الرجاء على الخوف ، والطمع على الرهبة !! ثم اكتشفت أخيراً أن هذا

من التغرير !! وعلمت يقيناً بعد ذلك أن الخوف يأتي أولاً ، ويستمر أبداً ، ومن لا يخاف الله على الحقيقة فهو خارج عن مسمى الإيمان .

وقد وصلت إلى ذلك بعد أن علمت يقيناً أن أهل الإيمان جميعاً يخافون ، فالملائكة وهم خير عباد الله يخافون معصية الله ، والرسل وهم صفوة الله قد كانوا في خوف دائم من عذاب الله ، وأن خيار أهل الإيمان كانوا في خوف وإشفاق دائم من العذاب !! وأنه لا أمن للمؤمن إلا بعد دخول الجنة ، وقول الله سبحانه وتعالى لأهلهما «إني أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً » وما قبل ذلك فلا .

## [ ١٦ ] ملائكة الله يخافون العذاب :

الملائكة قد وصفهم الله سبحانه وتعالى بالطاعة التامة ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ** (٢٠٦) ﴾ [ الأعراف ٢٠٦ ] ، وقال تعالى : ﴿ **فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ**

عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ (٣٨) ﴾ [ فصلت ٣٨ ] .

وقال سبحانه عن أشد الملائكة خلقاً ، وأعنفهم خُلُقاً وهم ملائكة العذاب الموصفون بأنهم « غلاظ شداد » ، قال تعالى عنهم : ﴿ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [ التحريم ٦ ] .

ومع ذلك فإنهم في خوف دائم من الله سبحانه وتعالى ، وحذر دائم من معصيته ، وفرق ورعب منذ خلق الله النار . قال تعالى عنهم : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٥٠) ﴾ .

[ النحل ٤٩ – ٥٠ ] .

وقد جاء في القرآن وعيدهم وتهديدهم بجهنم على المعصية ، قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ

﴿ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٢٩) ﴾

[ الأنبياء ٢٦ - ٢٩ ] .

وهذا إبليس قد كان في يوم ما عابداً الله مع الملأ الأعلى من الملائكة فلما عصى ربه ، ولم يسجد لآدم كما أمره كان من شأنه ماقص الله علينا في القرآن .. قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا

لَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨) ﴾ [ الأعراف ١١ - ١٨ ] .

فلما أصر إبليس على كبره وعناده ولم يرجع عن معصيته ، وأخذ على نفسه أن يغوى آدم وذريته .. قال له الله تبارك وتعالى : ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥) ﴾ .

[ ص ٨٤ - ٨٥ ] .

وقال تعالى لإبليس أيضاً : ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ [ الحجر ٤١-٤٤ ] .

فإذا كان إبليس قد أفسد ماضيه في العبادة ، ومنزلته في الملائكة بمعصية واحدة أصر عليها ، ولج في خصومته لربه ، وعاند فيها .. فكان جزاؤه اللعنة أبداً ، والنار سرمداً ، والخذلان في الآخرة والأولى .

ثم أصبحت نهاية إبليس مانص الله علينا في سورة إبراهيم من قوله : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢) ﴾ [ إبراهيم ٢٢ ] .

فهل بعد هذا يأمن عبد من عباد الله أن تغشه نفسه ، ويخونه تدبيره ، ويعميه غروره ، وتغريره ، فيكون من الهالكين بمعصية واحدة يصر عليها ، ويستكبر بها عن طاعة ربه . وكم من عابد ، وعالم غوته نفسه وأطاع الشيطان فتحول ليكون تابعاً ذليلاً للشيطان !!! .

فكم أضل الشيطان من أهل العلم والبصيرة ، بل من أهل الطاعة والإنابة ، قال تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ

هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون (١٧٦) ﴾ [ الأعراف ١٧٥ - ١٧٦ ] .

وقال تعالى عن قوم سبأ : ﴿ ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين (٢٠) ﴾ [ سبأ ٢٠ ] .

وقال تعالى عن عاد : ﴿ وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين (٣٨) ﴾ [ العنكبوت ٣٨ ] .

فانظر كيف أغواهم الشيطان علماً أنهم كانوا ذوي بصيرة ونظر !! .

وقال ﷺ : « **ليُذادَنَّ أقوام من أمتي حوضي أعرفهم ويعرفوني ويؤخذ بهم جهة النار ، فأقول : أصحابي أصحابي ، فيقال : ليسوا أصحابك إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : سحقاً سحقاً** » .

والملائكة الذين أقامهم الله في الطاعة وألزمهم العبادة وألهمهم التقوى والمخافة هم في طاعة ربهم حيث يشاء

ربهم لا حيث يريدون هم ، وكان نبينا ﷺ يحب جبريل ، وكيف لا يحبه وهو معلمه قال تعالى : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (٧) ﴾ [ النجم ٥ – ٧ ] .

وكيف لا يحبه وهو ناصره ووليه . قال تعالى : ﴿ وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ (٤) ﴾ [التحريم ٤٠] .

وكيف لا يحبه وقد كان في حروبه أمامه ، وعلى ميمنته وكان نبينا ﷺ يقول لجبريل : « ألا تزورنا أكثر مما تزورنا !! » فنزل قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤) ﴾ [ مريم ٦٤ ] . [ رواه البخاري ] .

فإذا كان جبريل أمين الله على وحيه ، ورسوله إلى رسله ، لا يهبط إلى الأرض إلا بإذن ربه ، ولا يزور محمداً ﷺ إلا برسم وأمر ، فانظر كيف تكون طاعة الملائكة لربهم جل وعلا .. وهذا إسرافيل قد التقم القرن وحنى جبهته

وأصاغ السمع ، وانتظر متى يأمر الله بأن ينفخ في الصور !! ومنذ متى وهو على هذا الحال !! قائم في الطاعة !! ملتزم بالأمر .. وجمعيهم خائف من الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [ النحل ٥٠ ] .

وقد جاء أنهم في خوف دائم منذ خلق الله النار .

**[ ١٧ ] رسل الله وأنبياؤه يخافون العذاب :**

وأما الرسل والأنبياء فهم أعظم البشر خوفاً من الله سبحانه وتعالى وفرقاً من عذابه ، وفراراً إليه !! مع ماكانوا عليه من الطاعة والاستقامة والعبادة !! .

فهذا آدم منذ عصى الله بأن أكل من الشجرة التي نهاه الله أن يأكل منها وهو خائف من العذاب مع استغفاره ورجوعه إلى الله من ذنبه مع ما حدث له بعد ذلك من الإبتلاء بالخروج من الجنة ومقاساة العيش على ظهر الأرض ... .

وعندما يلقي أبناءه يوم القيامة يستشفع به أبناؤه إلى الله